الفصل الثانى

الرَّحْمَة

إن الرحمة من الصفات التى يوصف بهـا الله سبحانه وتعالى ، ويوصف بها الإنسان . . فـإذا نظرنا إليها باعتبارها صـفة لله تعالى كان معناها : الصفة التى بها الإنعام والتفضل والإحسان.

أما إذا نظرنا إليها باعتبارها صـفة للإنسان ، فإن معناها : الرقة فى القلب والتعطف .

وللرحمة مكانة كبرى فى الإسلام : فـفيها يتركز هدف الرسالة الإسلامية. .

يقول الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1].

والقرآن الكريم حينما حدد هدف الرسالة الإسلامية بالرحمة لم يقل : رحمة للأهل ، أو للعشيرة ، وإنما قال:

﴿ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[2].

فشـملت كل العوالم فى ملك الله تعـالى، فهى رحمـة ليست خاصة بالإنسان.

ومن النمـاذج الرائعـة فى الحث على الرحـمة بالإنـسان قـوله ﷺ فيما رواه الإمام مسلم :

« إن الله عز وجل ، يقول يوم القيامة : يا بن آدم مرضت فلم تَعُدْنِى.

---

(١) ، (٢) سورة الأنبياء : ١٠٧.

قال: يا رب ، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟

قال: أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تَعُدْهُ ؟!

أما علمت أنك لو عُدْتَهُ لوجدتنى عنده؟!

يا بن آدم ، استطعمتك ، فلم تطعمنى .

قال: يا رب ، كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟!

قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ؟!

أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ؟!

يا بن آدم استسقيتك، فلم تسقنى.

قال : يا رب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟!

قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه. أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى ؟! ».

ونتحدث الآن عن الرحمة من **ثلاثة جوانب** :

١ ـ من حيث كونها صفة لله تعالى.

٢ ـ من حيث كونها صفة للرسول ﷺ .

٣ ـ من حيث المبادئ الإسلامية .

لقد سمَّى الله نفسه : الرحمن، وسمَّى نفسه : الرحيم ، وبدأ كل سورة من سور القرآن الكريم ، ببسم الله الرحمن الرحيم ،

وطلب إلينا حينما نشرع فى عمل ، أو نبدأ فى أمر من أمور الخير، بل من الأمور العادية المباحة ـ أياً كان ـ أن نسمى الله سبحانه، ونضيف إليه تعالى صفة الرحمن الرحيم :

فنقول فى مفتتح كل شىء : « بسم الله الرحمن الرحيم ».

ولقد كان الرسول ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ يذكّر المؤمنين دائماً برحمة الله ليقتدوا به.

وفى مرة ـ بينما كان الرسول، صلوات الله عليه وسلامه ، عائداً من غزوة ذات الرقاع ـ جاء رجل بفرخ طائر فأقبل أحد أبوَى الفرخ حتى طرح نفسه بين يدى الذى أخذ فرخه ، فعجب الناس من ذلك ، فانتهز رسول الله ﷺ الفرصة كعادته ليعظهم ويذكرهم بالله ويحببهم فيه ، فقال:

« أتعجبون من هذا الطائر ؟ أخذتم فرخه فطرح نفسه رحمة لفرخه، واللهِ لَرَبُّكُمْ أرحم بكم من هذا الطائر بفرخه ».

وفى مرة رأى رسول الله ﷺ امرأة تضم طفلها إلى صدرها فى حنان بالغ وحب عميق ، فالتفت إلى أصحابه وقال لهم :

« أترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟ ».

قالوا: لا والله يا رسول الله.

فقال ﷺ :

« واللهِ للهُ أرحم بعباده من هذه بولدها ».

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى وصف الله بالرحمة وفى التحدث عن رحمته سبحانه كثيرة :

يقول الله تعالى :

﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾(١) .

ويقول تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢).

والله سبحانه وتعالى ﴿ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾(٣).

وهو سبحانه ﴿ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾(٤) .

وقد ﴿ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾(٥) .

ومن آياته سبحانه وتعالى أن :

﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(٦) .

---

(١) سورة الأحزاب : ٤٣ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٣ .

(٣) سورة المؤمنون : ١١٨ .

(٤) سورة الأعراف : ١٥٥ .

(٥) سورة الأنعام : ١٢ .

(٦) سورة الروم : ٢١

ويأمر سبحانه الذين أسرفوا على أنفسهم ألا يقنطوا من رحمة الله تعالى ، فيقول سبحانه :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(١) .

ويأخذ الله سبحانه على الإنسان بخله حتى ولو ملك خزائن رحمته التى لا تنفد . . فيقول سبحانه :

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا ﴾(٢) .

أما من يقنط من رحمة الله فإنه من الضالين :

﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾(٣) .

والله سبحانه وتعالى ـ فى النهاية ـ أرحم الراحمين :

يقول سيدنا موسى ـ كما عبر عنه القرآن الكريم ـ:

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(٤) .

---

(١) سورة الزمر : ٥٣ .

(٢) سورة الإسراء : ١٠٠ .

(٣) سورة الحجر : ٥٦ .

(٤) سورة الأعراف : ١٥١ .

ويقول سبحانه على لسان سيدنا يعقوب :

﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١).

ويقول تعالى على لسان سيدنا يوسف :

﴿ قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(٢).

وسيدنا أيوب يدعو ربه فيقول:

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٣).

ونختم الحديث عن رحمة الله تعالى ، بقول سيدنا شعيب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم مخاطباً قومه :

﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (٤).

وإن وصف الله سبحانه بالرحمن الرحيم ، وبأنه أرحم الراحمين ، وبأنه رحيم ودود ، لينقض باطل المستشرقين أصحاب الهوى فى زعمهم أن الدين الإسلامى دين لا رقة فيه ، وهل هناك أرق من وصف الله تعالى بالرحمن الرحيم، ووصفه بأنه أرحم الراحمين، وإن الرقة كلها لتتمثل فى قوله تعالى:

---

(١) سورة يوسف : ٦٤ .

(٢) سورة يوسف : ٩٢ .

(٣) سورة الأنبياء : ٨٣ .

(٤) سورة هود : ٩٠.

﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (١).

ومن الأحاديث نذكر ما أخرجه الترمذى وصححه عن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

« قال الله تعالى : أنا الرحمن ، خلقتُ الرَّحِمَ وشَقَقْتُ لها اسْماً من اسْمِي ، فمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُه ، ومَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ » .

رسول الله ﷺ والرحمة :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٢).

ويتحدث الرسول ﷺ عن وضعه فى هذا العالم، فيقول ﷺ :

« إنما أنا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ » (٣).

ويروى الإمام مسلم فى صحيحه أنه :

قيل : يا رسول الله : ادعُ على المشركين .

قال : « إنى لم أُبْعَثْ لعَّانًا ، وإنما بُعِثْتُ رحمةً » .

ولقد اتصف رسول الله ﷺ بالرحمه طيلة حياته:

---

(١) سورة هود : ٩٠.

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٧.

(٣) ذكر ابن كثير أسانيد هذا الحديث عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلاَّ رحمةً للعالمين (١٠٧) ﴾ فى سورة الأنبياء .

إن السيدة خديجة رضوان الله عليها تصفه ﷺ فتقول فى تأكيد وفى ثقة :

« **إنكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَحْمِلُ الكَلَّ ، وتَكْسِبُ المَعْدُومَ ، وتَقْرِى الضَّيفَ، وتُعِينُ على نوائبِ الحقِّ** ».

وهذا الوصف الذى رواه الإمام البخارى فى الحديث الذى وصف بدء الوحى إنما يتبلور كله فى كلمة « **الرحمة** ».

وفى يوم من الأيام رأى أحد الأعراب رسول الله ﷺ يقبِّل أحد أحفاده ، فقال مندهشاً:

« أتقبِّلون أبناءكم ؟ إن لى عشرة من الأولاد ، ما قبَّلت واحداً منهم قَطُّ ».

فعرَّفه ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ فى نوع من الاستهجان، أن الله قد نزع الرحمة من قلبه.

وقد تعدت رحمته ﷺ الإنسان إلى الحيوان ، وكتب السيرة تروى أنه ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ مر ذات يوم على بستان رجل من الأنصار فدخله فإذا جمل يئن وتذرف عيناه ، فأتاه النبى ﷺ فمسح عليه ، فسكت الجمل ثم قال ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ :

« **مَنْ رَبُّ هذا الجمل ؟** » ..

فجاء فتى من الأنصار، فقال : هذا لى يا رسول الله.

فقال له: « ألا تَتَّقى الله عز وجل فى هذه البهيمة التى مَلَّكَكَ الله ؟ إنك تُجيعُه وتُدْئِبُه ». (أى : تُتعبه وتُجهده).

فخجل الشاب الأنصارى ، وتغير سلوكه مع الجمل .

ونختم الكلام عن رحمة الرسول ﷺ بقول الله تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩) ﴾ (١) .

المؤمنون وصفة الرحمة:

يقول ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ معرِّفاً بعض صفات المؤمنين :

« مَثَلُ المؤمنين فى تَوَادِّهم ، وتَرَاحُمِهم ، وتَعاطُفِهم ، كَمَثَلِ الجسَدِ إذا اشْتَكى منه عُضْوٌ؛ تَداعَى له سَائِرُ الأعْضَاءِ بالسَّهَرِ والحُمَّى ».

ويقول الله تعالى :

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (٢).

ومن القصص ذات المغزى العميق أن رسول الله ﷺ كان

---

(١) سورة التوبة : ١٢٨ ، ١٢٩.

(٢) سورة الروم : ٢١.

يتحدث عن الرحمة ويحث عليها ويدعو إليها ويعرف منزلتها من الدين، فقال بعض الصحابة رضوان الله عليهم : « **إننا نرحم أزواجنا وأولادنا وأهلينا** ». فلم يُرْضِ هذا القول رسول الله ﷺ لأنه فَهْمٌ قَاصِرٌ محدودٌ لما ينبغى أن يكون عامّاً شاملاً ، ولذلك رد عليه رسول الله ﷺ بقوله :

« **ما هذا أريد ، إنما أريد الرحمة العامة** ».

وما من شك فى أن من الرحمة : رحمة الأزواج والأولاد والأهل ، وقد حث على ذلك رسول الله ﷺ . . بيد أن ما أراده الرسول ﷺ إنما هو : أن تتغلغل الرحمة فى الكيان الإنسانى كله حتى تصبح وكأنها من فطرته وطبيعته وجِبِلَّته فيكون الإنسان وكأنه قبس من الرحمة الإلهية : ينثرها إذا سار، وينثرها أينما كان وينثرها حيثما حل ، وإذا كان كذلك فإنه يكون قد حقق الطابع العام للرسالة الإسلامية واستحق أن يغمره الله برحمته.

يقول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ :

« **الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَن** ».

ويقول الله فى حديث قدسى :

« **اطلبوا الفَضْل من الرُّحَمَاء مِنْ عبادى فإنى جعلتُ فيهم رحمتى، ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم فإنى جعلتُ فيهم سَخَطى** ».

أما من لم ينبض قلبه بالرحمة ، ولم يتخذها شعاراً له فإنه ـ والعياذ بالله ـ مطرود من رحمة الله ، يقول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ :

« لا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلا من شَقِيٍّ ».

والأعمال الإنسانية التى تصدر عن هذا الطابع العام والتى يدعو إليها الإسلام لا حصر لها، وأولها ـ لا شك ـ إنما هو رحمة الإنسان بنفسه ورحمته بنفسه إنما تتلخص فى كلمتين : عمل ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى الله عنه .

لقد رسم الدين مبادئ للفضيلة وقواعد للنجاة .

وحدَّد معالم الجريمة والمعصية وحذَّر من الوقوع فيها .

وجعل السعادة فى الدنيا والآخرة منوطة بعمل ما أمر الله به واجتناب ما نهى الله عنه ، ولن يكون الإنسان على هدى ،ولن يصل إلى أن يكون قبساً من الرحمة الإلهية إلا إذا التزم التزاماً كاملاً بالتعاليم الدينية.

وهذا يسلمنا إلى الفكرة الواضحة البديهية ، وهى أن العمل الإنسانى فى أى اتجاه من اتجاهاته إنما حدده أحكم الحاكمين فى كتابه الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وما من شك فى أن من ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، لأنه حبل الله المتين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم .

وإذا كان الواجب الأول على الإنسان إنما هو رحمته بنفسه بالمعنى الذى أوضحنا ؛ فإن هذا الواجب يتضمن ما لا يكاد يحصى من الواجبات الأخرى الإنسانية ، ومن أوائلها صلة الرحم.

عن أبى هريرة رضي الله عنه ـ فيما رواه البخارى ـ عن النبى ﷺ قال :

« إن الله خَلَقَ الخَلْق ، حتى إذا فرغَ من خَلْقه قالت الرَّحِمُ : هذا مَقَامُ العائذ بك من القطيعة . قال : نعم ، أما تَرْضَين أنْ أصِلَ مَنْ وصَلَكِ وأقطعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قالت : بَلَى يا ربِّ. قال : فهو لكِ. قال رسول الله ﷺ : فاقرءوا إن شئتم :

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِى الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣) ﴾[1] .

ومن بديهيات صلة الرحم أن يبدأ الإنسان بوالديه ، وقد قرن الله تعالى صلتها ـ لأهميتها ـ بعدم الإشراك به فى العبادة ، فقال تعالى :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[2] .

وقال ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى الحث على صلة الرحم عموماً :

---

(١) سورة محمد : ٢٢ ، ٢٣.

(٢) سورة الإسراء : ٢٣.

« من أراد أن يبارك الله له فى رزقه وأجَله وعمله فليصلْ رَحِمَه ».

ومن الرحمة : الرحمة بالجار ، وقد وردت فى ذلك أحاديث كثيرة؛ يقول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ :

« ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه ».

وإذا كان الدين قد عين بعض الطوائف بالذات ، فإنه لم يرد بذلك أن تقتصر الرحمة عليها ،لأن المقصود كما يقول رسول الله ﷺ :

« الرحمة العامة » : الرحمة التى تعم العالم ، التى تعم البشرية بأكملها، بل وتتجاوزها إلى العوالم الأخرى ـ كل العوالم الأخرى ـ ولذلك قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(١).

بصيغة الجمع، لا بصيغة المفرد .

ومن أجل ذلك تتضمن الرحمة ـ فى الجو الإسلامى ـ الرحمة بالحيوانات أيضاً.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« دخلت امرأةٌ النارَ فى هِرَّة ربطتها، فلم تطعمها ، ولم تَدَعْهَا تأكل من خَشَاش الأرض ».

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧.

وفى رواية : « عُذِّبت امرأة فى هِرَّة سجنتها حتى ماتت، لا هى أطعمتها وسقتها إذ هى حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » (١).

وعن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال : مرَّ رسول الله ﷺ ببعير قد لصق ظهره ببطنه ، فقال:

« اتَّقُوا الله فى هذه البهَائم المعجمة ، فاركبُوها صالحةً، وكُلُوها صالحة »(٢).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال:

« دنا رجلٌ إلى بئر فنزل فشرب منها، وعلى البئر كلبٌ يلهث، فرَحِمه فنزع إحدى خُفَّيه فَسَقَاه ، فشكر اللهُ له فأدخله الجنةَ » (٣).

أحاديث للرسول ﷺ ، فى الرحمة :

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« مَنْ لا يَرْحَمِ الناسَ لا يَرْحَمْهُ اللهُ »(٤).

---

(١) رواه البخارى وغيره ، ورواه أحمد من حديث جابر ، فزاد فى آخره : « فوجبت لها النار بذلك » .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه ، ورواه مالك ، والبخارى، ومسلم، وأبو داود .

(٤) رواه البخارى ومسلم ، والترمذى ، وأحمد .

وعن أبى موسى رضي الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول :

« **لن تُؤمنوا حتَّى تَرَاحَمُوا** ».

قالوا : يا رسول الله، كلنا رحيم .

قال : « **إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة العامة** »(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ ، يقول :

« **مَنْ لم يَرْحَمِ الناسَ لم يَرْحَمْه اللهُ** »(٢).

وعن جرير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« **مَنْ لا يَرحمْ مَنْ فى الأرض لا يَرحمْه مَنْ فى السماء** »(٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

« **الراحمون يَرحمُهم الرحمن ، ارحموا مَنْ فى الأرض يَرْحَمْكم مَنْ فى السماء** » (٤).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : سمعت الصادق المصدوق صاحب هذه الحجرة أبا القاسم ﷺ يقول:

(١ ، ٢ ، ٣) رواه الطبرانى .

(٤) رواه أبو داود والترمذى .

« لا تُنزع الرحمة إلا مِنْ شقيٍّ »(١).

وقال ﷺ :

« المؤمن للمؤمن كالبُنيان يشد بعضُه بعضاً » (٢).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا : أتقبِّلون صبيانكم ؟ فقال : « نعم ».

قالوا : لكنا لا نقبِّل ، فقال رسول الله ﷺ :

« أوَ أملكُ إنْ كان الله نَزَعَ من قلوبكم الرحمة » (٣).

وقال ﷺ :

« إذا صلَّى أحدكم بالناس فليُخفِّف ، فإن فيهم الضَّعيف والسَّقيم والكبير ، وإذا صلَّى أحدكم لنفسه فليطوِّل ما شاء »(٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان اللهَ فى حاجته ، ومن فرَّج عن مسلم كربة فرَّج الله عنه بها كُرْبة من كُرَبِ يوم القيامة ، ومَنْ سَتَرَ مسلماً سَتَرَهُ الله يوم القيامة »(٥).

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن حبان .

(٢ ـ ٥) رواه البخارى ومسلم .

وقال ﷺ :

« المسلم أخو المسلم ،لا يَخُونُه ولا يَكْذِبُه ولا يَخْذلُه ، كلُّ المسلم على المسلم حرام ، عِرْضُه ومَالُهُ ودَمُهُ ، التَّقْوَى ها هنا ، بِحَسْبِ المسلم من الشر أنْ يَحْقِرَ أخاه المسلم »(١).

وقال ﷺ :

« لا تَحاسَدُوا ولا تَناجَشُوا ، ولا تَباغَضُوا ، ولا تَدابَرُوا ، ولا يَبِعْ بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ، التقوى ها هنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بِحَسْبِ امرئٍ من الشر أن يَحْقِرَ أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دَمُه ، ومَالُه ، وعِرْضُه »(٢).

ومن رحمة الله تعالى بالبشرية ـ إذن ـ أن أرسل رسوله ، وأنزل كتابه رحمة وسلاماً وهداية.

يقول تعالى:

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ (٣).

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة المائدة : ١٥ ، ١٦ .

من سمات الدين الإسلامى - إذن - ومن سمات الرسول ﷺ ومن سمات المبادئ ، ومن سمات الذين يحققون هذه المبادئ فى أنفسهم : سمة الرحمة ، وهى نتيجة لازمة لإسلام الوجه لله ، لأن من أسلم وجهه لله :

١- انتفى من قلبه الغل والحسد والحقد والكراهية ، وبرئ من كل ما يمكن أن يكون شراً بالنسبة للآخرين .

٢- ومن أسلم وجهه لله ، تحلَّى بما أحبه الله ورسوله ، وفى سنام ذلك : الرحمة ، والرحمة لذلك من ثمار إسلام الوجه لله، وهى من أجل ذلك عنصر من عناصر شخصية المسلم.

أما إذا انتزعت الرحمة من قلب إنسان فإنه شقىٌّ،والشقىُّ لا يمثل المسلم العادى فضلاً عن أن يعبر عن الشخصية الإسلامية .

والنتيجة التى حاولنا الوصول إليها من كل ما سبق هى : أن جوهر الشخصية الإسلامية إنما هو:

- **إسلام الوجه لله.**

وهذا الجوهر يمهد له أمران :

- **العلم ، والعبادة .**

وثمرته أمران:

- **الجهاد ، والرحمة .**

ومن حقق فى نفسه الجوهر والمقدمات له ، والنتائج التى يثمرها، فقد حقق شخصية المسلم.

الخاتمة

(أ) إن كل إصلاح - سواء نظرنا إلى الفرد فى خاصة نفسه ، أو إلى المجتمع فى مجموعه - إنما يبدأ بالعلم : العلم الدينى، والعلم المادى؛ العلم بالمعنى الإسلامى، أى : العلم بالله ، والعلم بسننه الكونية التى تشمل الأرض والسماء وما بين الأرض والسماء .

وسواء أكان العلم الذى يبدأ منه الإصلاح نظرياً أم مادياً فإنه - فيما نرى - يجب أن يكون موجهاً ، وتوجيهه إنما هو سبيلٌ فرضَه الدين، أى : فرضته العقيدة الإسلامية نفسها ، يجب أن يكون العلم أساساً وهدفاً فى سبيل الله ، بأوسع ما تتضمنه كلمة « سبيل الله » من معان.

أى أنه يجب أن يشعر المتعلمون -كل بقدر استعداده - أنه فى تعلمه العلم إنما يعبد الله على نحو من الأنحاء، وأنه فى تعلمه العلم مجاهد بلون من ألوان الجهاد الإسلامى .

(ب) ويبدأ الإصلاح أيضاً بالعبادة : علماً فى جانبها العلمى، وعملاً فى جانبها العملى ، وجانب العبادة العلمى يبدأ كجزء من العلم، وجانبها العملى يبدأ بمجرد استطاعة الطفل إدراك ما يعمل والقيام بما يدرك.

وكما تكون المدرسة داراً للعلم فإنه فى الأوضاع السليمة يجب أن تشتمل على ما يعطى التلميذ تأهيلاً فى العبادة نظرياً فى الجانب النظرى، وعملياً فى الجانب العملى ، وإذا كانت المناهج ترى ضرورة

إعطاء التلاميذ تطبيقات لا تكاد تنتهى فى العلوم الرياضية وفى العلوم العربية، فإنه يجب أن لا تهمل هذه التطبيقات فى الجانب الدينى .

ومن العبادة العلمية ـ فيما نرى ـ توجيه الأنظار إلى حكمة الله السارية فى الكون، وإلى إبداعه سبحانه فى كل مجال من مجالات ملكه.

(ج) والعلم الموجَّه بالله وسننه الكونية ، وجِّهته خشية الله وإسلام الوجه إليه .

والعبادة الموجهة غايتها وهدفها مرضاة الله وخشيته والالتجاء إليه، وإسلام الوجه إليه.

وجوهر الإسلام الذى نطلبه إنما هو هذا : إسلام الوجه إليه سبحانه، نعمل له فى كل ميادين العلم ، ونوجه إليه فى كل ما يمكن من مسائل الدين والعبادة النظرية والعلمية .

فإذا تحقق إسلام الوجه له سبحانه كانت النتائج التى تترتب عليه. **وكان من هذه النتائج** :

(د) الجهاد الذى هو من ثمار إسلام الوجه لله ، ومن لوازمه التى لا تنفك عنه بأشمل ما تتضمنه كلمة الجهاد، سواء تمثلت فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، أو تمثلت فى الإعداد الحربى، وفى الحرب بالفعل.

(هـ) وكانت الرحمة فى عمومها وشمولها .

وبعد ..

فهذه فكرة عن عناصر شخصية المسلم تتضمن بيان الإصلاح الذى نرجوه لكل الدول الإسلامية : بيانه فى جوهره وفى مقدماته وفى ثماره . .

ونرجو الله سبحانه أن يكون قد كتب لنا التوفيق فيما رسمنا من خطوط . .

﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[1] .

□□□

(١) سورة الكهف : ١٠ .

مراجع الكتاب

* القرآن الكريم.

١- إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى.

٢ - بروتوكولات حكماء صهيون.

٣ - بناء الإنسانية لبريفولت.

٤ - تفسير الطبرى.

٥ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

٦ - التفسير الكبير للفخر الرازى.

٧ - حلية الأولياء لأبى نعيم.

٨ - سنن الترمذى.

٩ - سنن أبى داود.

١٠- سنن ابن ماجه.

١١- سنن النسائى.

١٢- شعب الإيمان للبيهقى.

١٣- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض بن موسى.

١٤- صحيح البخارى.

١٥- صحيح ابن حبان.

١٦- صحيح مسلم.

١٧- عمل اليوم والليلة لابن السنى.

١٨- عمل اليوم والليلة لجلال الدين السيوطى.

١٩- عمل اليوم والليلة للنسائى .
٢٠- الكشاف للزمخشرى.
٢١- المستدرك للحاكم النيسابورى.
٢٢- المسند للإمام أحمد بن حنبل.
٢٣- المصنف فى الحديث لعبد الرزاق الصنعانى.
٢٤- المعجم الكبير للطبرانى.
٢٥- مفردات القرآن للراغب الأصفهانى.